(٣٠) المناطق المحتلة

[١]

حركة الاستيطان : « لا نبتعد عن الحقيقة في شيء اذا قلنا ان السلاح الاقوى والاخطر الذي اتبعته الحركة الصهيونية ومن بعدها الكيان الاسرائيلي هو سلاح الاستيطان، وان كافة الاسلحة الاخرى سواء العسكرية منها او غير العسكرية تصب في خدمة السلاح الاول. فالاستيطان — جوهر الصهيونية — ينفي وجودا لخلق وجود آخر ، اما الاساليب الاخرى التي اتبعتها اسرائيل في صراعها مع العالم العربي فانها تعمل لقهر واذلال وتليين الوجود الاصيل تمهيدا لانتفائه من خلال سلاح الاستيطان .

كان من الطبيعي بعد حرب حزيران ١٩٦٧ والانتصار الذي يقارب الخيال الذي احرزته اسرائيل ، ان ترفق حالة الاذلال والقهر ، بحالة ارقى ، حالة انتفاء الاصل ، فاشادت ما يربو على ٤٥ مستوطنة في المناطق العربية المحتلة ، كما واقامت ضواح يهودية في مدينة القدس وكذلك بالقرب من الخليل ، واخذت تلك المناطق تشهد الصور الاولى التي مرت على الشاشة الفلسطينية في اواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، الى ان جاءت حرب اوكتوبر ١٩٧٣ ووضعت اداة القهر الاسرائيلي (الجيش) في حجمها الطبيعي ، مما كان له الاثر الكبير على اداة الانتفاء. ومن هنا برز داخل الكيان الاسرائيلي ما يعرف هناك بـ « الازمة القومية » ، حيث وقف هذا الكيان امام خيارين : قبول التسوية المفروضة على المنطقة بعد حرب اوكتوبر وما يستتبع ذلك من تخل عن جميع الاستيطان الجديد منذ ١٩٦٧ مقابل الاعتراف بالكيان الاستيطاني القديم او رفض التسوية والاستمرار في المحافظة على الوضع الراهن . وبين هذين الخيارين تتعثر حركة الاستيطان . وقد كثر الحديث حول مصيرها ، بين مؤيد لاستمرارية وجودها رغم كل شيء ، وبين متحفظ تجاه استمرارية بعضها ، وبين مؤبن لها . ولعل نائبي الكنيست اوري افنيري واريك شارون يمثلان جناحي صورة الازمة « القومية » للكيان الاسرائيلي ، فالاول يرى ان التسوية السلمية تسير سيرا حثيثا ، وان النقاط الاستيطانية تعتبر بمثابة ألغام في طريقها ، وان اسرائيل تقف امام خيارين : ابقاء الالغام او فكها . ويرى ان الخيار الاول بمثابة جنون ، اما الخيار الثاني ، مع انه « محزن ... ويحدث ازمة قومية ليس لها مثيل » فلا مفر منه ، ويصب جام غضبه على اعضاء الحكومة السابقة ويطالبهم بتقبيل اقدام المستوطنين تغفيرا عن الخطيئة التي ارتكبوها بحقهم : « انني اقترح الزام جميع اعضاء الحكومة السابقة بالمرور على جميع المستوطنات ، حيث يسجدون امام المستوطنين ويطلبون منهم السماح والمغفرة ... ذلك ان كل واحد منهم مذنب ، ولذا ينبغي على كل واحد منهم تقبيل أقدام المستوطنين وطلب السماح الشخصي منهم» (هعولام هزيه ١٥/٥/٧٤). من الواضح ان افنيري يفتري على الحقيقة عندما اقتصاره اتهامه على اعضاء الحكومة دون تطرقه لطبيعة الكيان الاسرائيلي . اما شارون فانه يرى عكس ما يراه زميله في الكنيست ، فهو يعتقد بأن النقاط الاستيطانية في المناطق بمثابة تجسيد للصهيونية وان التخلي عنها يعتبر بداية النهاية للمشروع الصهيوني ، ولذا فانه يدعو الى تعزيز ما هو قائم بمستوطنات جديدة ، ودفعه ذلك الى تزعم محاولة استيطانية فاشلة بالقرب من مدينة نابلس ، وانتقد اولئك الذين يرددون بأن قيام نقاط استيطانية جديدة في المناطق العربية بمثابة عمل غير شرعي لان شارون المنسجم مع نفسه والفكر الصهيوني يرى ان الكيان الاسرائيلي أقيم بنفس الطريقة « ... ما هو العمل غير الشرعي ؟! لقد أقيمت الدولة برمتها بصورة « غير شرعية » من الذي يقرر ويميز بين العمل الشرعي وغير الشرعي؟ ألم تقم كريات اربع بهذا الشكل ؟ كفار عتسيون ألم تقم كذلك ؟ كيشت في القنيطرة ألم تقم هي الاخرى كذلك ... » (معاريف ٢١/٦/١٩٧٤) .

وما بين هذين التفكيرين يسود تفكير آخر يرى في النقاط الاستيطانية القائمة بمثابة ورقة ضغط في يد المفاوض الاسرائيلي يمكن ان يستخدمها في حال اجراء المفاوضات في جنيف او غيرها للحصول على